182707 ـ لا تدل الآية الكريمة على أن سن الأربعين هو حد الحساب والعقاب

السؤال

قال الله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) الأحقاف/15 إلى آخر الآية ، لماذا اختص الله هذا السن ؟ ، وهل هذا يدل أن الشباب لديهم فسحة من دينهم ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

اختصاص سن الأربعين بالذكر في هذه الآية الكريمة دليل على أنه سن استيفاء كمال العقل والفهم ، وذروة تمام نعمة الله على الإنسان في كمال القوى التي منحه الله إياها ، وهي مرحلة زائدة على بلوغ الأشد الذي يتم ببلوغ الحلم ، يقول الله عز وجل : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الأحقاف/15

يقول الإمام القرطبي رحمه الله :

" ذكر عز وجل أن من بلغ أربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها ، قال مالك : أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ، ويخالطون الناس ، حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة ، فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس " انتهى من " الجامع لأحكام القرآن " (7/276)

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" (حتى إذا بلغ أشده) أي : قوي وشب وارتجل (وبلغ أربعين سنة) أي : تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ، ويقال : إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين ، وقال مسروق : إذا بلغت الأربعين فخذ حذرك ، (قال رب أوزعني) أي : ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) أي : في المستقبل (وأصلح لي في ذريتي) أي : نسلي وعقبي ، (إني تبت إليك وإني من المسلمين)، وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها " انتهى باختصار من " تفسير القرآن العظيم " (7/280-281) .

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله :

" (بلغ أشده) قيل : بلغ عمره ثماني عشرة سنة ، وقيل : الأشد الحلم ، قاله الشعبي وابن زيد . وقال الحسن : هو بلوغ

الأربعين ، والأول أولى ؛ لقوله : (وبلغ أربعين سنة) فإن هذا يفيد أن بلوغ الأربعين هو شيء وراء بلوغ الأشد ، قال المفسرون : لم يبعث الله نبيا قط إلا بعد أربعين سنة ، وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة أن يستكثر من هذه الدعوات " انتهى من " فتح القدير " (5/22) .

والحاصل أن سن الأربعين ليس هو حد الحساب والعقاب ، ولا تدل الآية بوجه من الوجوه أن الشباب في فسحة من دينهم ، فالبلوغ هو مناط التكليف وسن المحاسبة ، بدليل الحديث المشهور من قوله صلى الله عليه وسلم : (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ) رواه أبوداود (رقم/4403) وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " ، ولكن المقصود في الآية أن سن الأربعين هو سن تمام استواء البنية العقلية والجسمية ، فذلك أحرى أن يشكر نعمة الله تعالى عليه ، ويبذل عمره في طاعة الله .

والله أعلم